مجلة الرسالة
AL-RISALAH JOURNAL
ACADEMIC BIANNUAL REFEREED JOURNAL
KULLIYYAH OF ISLAMIC REVEALED KNOWLEDGE AND HUMAN SCIENCES
INTERNATIONAL ISLAMIC UNIVERSITY MALAYSIA

e-ISSN: 2600-8394 VOL. 4. No. 1 January (1441-2020)

الضوابط النقلية لفهم سور القرآن الكريم

Agreed rules for understanding the Holy Quran

عبدالله بن محمد الأنصاري[١] رضوان جمال الأطرش[٢] حسام موسى شوشه [٣]

Abdulla Mohammad Alansari Radwan Jamal Elatrash Hossam Moussa Shousha

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن الضوابط النقلية المعينة على معرفة مقصد السور القرآنية ذات الموضوعات المتعددة والتي ظاهرها التعارض، ويوضح البحث الضوابط النقلية التي يمكن أن تكون منهجاً يمكن الاعتماد عليه في التفسير الموضوعي. كما حاول البحث تطبيق هذه القواعد على ثلاث سور من القرآن الكريم وهي الأنعام ويونس والأحزاب. واستخدم البحث المنهج الاستقرائي بتتبع كل ما يتعلق بالتفسير الموضوعي للسورة في كتب التفسير بمختلف مناهجها، والأحاديث النبوية، والآثار ذات الصلة بالموضوع، وكذلك كتب التفسير بالرأي على مختلف أنواعها؛ كما استخدم المنهج التحليلي وذلك بدراسة الظاهرة ونقد الأطروحات غير الواضحة مع استنباط ضوابط منهجية معينة على فهم السور القرآنية. وقد توصل البحث إلى عدد من النتائج، من أهمها أن السورة القرآنية لها وحدة موضوعية ومقصد رئيس تنتظم تحتها القصص والأمثال والأحكام الشرعية الواردة في السورة. كما توصل البحث إلى ضرورة الاستفادة من المخزون العلمي الذي تركه المفسرون وتوظيف ذلك في خدمة البحث الموضوعي عن مقصد السور القرآنية. كم أثبت البحث أن الاعتناء بالكتابة في ضوابط التفسير الموضوعي وتكوين مرجعية للباحثين في مقاصد السور له من الأهمية ما للضوابط

[١] طالب دكتوراه بقسم دراسات القرآن والسنة، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا alansari888@hotmail.com

[٢] استاذ مشارك بقسم دراسات القرآن والسنة، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا Email: . radwan@iium.edu.my

[٣] استاذ مساعد بقسم دراسات القرآن والسنة، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا h.myknowledge@gmail.com

الفقهية والأصولية التي سبقت الضوابط التفسيرية وتم تأصيلها وتأطيرها بشكل واضح، ذلك أن كتابة تفاسير تقوم على أساس مقصدي محدد بضوابط منهجية للسور القرآنية يكون له أبلغ الأثر على من يرغب في فهمها من خلال الوقوف على الترابط المحكم فيها.

الكلمات المفتاحية: الضوابط، النقلية، سور القرآن الكريم.

Abestract:

This research aims to reveal the specific controls on knowing the purpose of the Qur'anic surahs with multiple topics, which are apparent contradictions. on the other hand, the research applied The rules laid down on three chapters of the Holy Qur'an, which are Al Anam, Younis, and Al Ahzab. The research used the inductive method to track everything related to the objective interpretation of the Surah in the books of interpretation in its various curricula, the hadiths of the Prophet, and the effects related to the topic, as well as books of interpretation of opinion on various types; also the analytical method was used by studying the phenomenon and criticizing unclear theses with devising certain methodological controls on Understanding the Quranic Surahs. The research reached a number of results, the most important of which is that the Qur'an surah has an objective unity and a main purpose under which the stories, proverbs and legal rulings mentioned in the surah are organized. The research also reached the necessity of making use of the scientific repository left by the interpreters and employing this in the service of objective research on the purpose of the Qur'anic surahs. How much research proved that caring for writing in the controls of objective interpretation and forming a reference for researchers in the purposes of the fence has important importance for the doctrinal and fundamentalist controls that preceded the explanatory controls and were clearly rooted and framed, as writing interpretations based on a specific purpose with systematic controls of the Quranic fence has the most impact It is upon those who wish to understand it by identifying the tight linkages therein.

Kaywards: Agreed, rules, Holy Quran

مقدمة

الكلام مطلقا عملية معقدة ليست قاصرة على جريان النفس واصطدامه بآلات الكلام من حنجرة أو لسان أو أسنان، بل هو قبل ذلك معنى متصور في النفس يريد المتكلم أن ينقله لغيره. فالمرحلة الأولى هي تحديد تلك الصورة بدقة، ثم بعدها يحتاج المتكلم بعدها إلى ثروة لغوية من الألفاظ والتراكيب ومعرفة الفروق الدقيقة بين الألفاظ والتراكيب المختلفة

والمتطورة تبعاً للأعراف، ثم يصوغ بها الصورة المتصورة في النفس[٤]. وبهذا يتمايز البشر في قدرتهم على التعبير. وهذا لا يجوز على الله ﷻ فهو الكامل في أسمائه وصفاته، ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [الشُّورَى: ١١]، والقرآن كلام الله ﷻ وهو صفة ذاته، فكل ما فيه من ألفاظ وتراكيب بلغت التمام في تعبيرها، سواء على مستوى الألفاظ أو التراكيب. وكل مسلم يؤمن بالله رباً –حكيماً عليماً خبيراً– لا يحتاج للبحث في مدى دقة الألفاظ والتراكيب ومطابقتها للواقع الذي جاء به القرآن، سواءً كان حكماً شرعياً أو قصة أو غير ذلك. "فإذا وصل الكلام إلى هذا الحد من الدِّقة، تبقى مشكلة سامعه أو قارئه وهو السبب الثاني من أسباب صعوبة الفهم"[٥] فالعاجز عن تحديد معالم المعنى في نفسه، فهو عن تحديد المعنى الذي عند غيره أعجز، ثم تأتي بعد ذلك عقبة اللغة بدقائقها، والاحتمالات الطارئة عليه، قال الرازي في المحصول: "اعلم أن الخلل الحاصل في فهم مراد المتكلم ينبني على خمس احتمالات في اللفظ أحدها احتمال الاشتراك وثانيها احتمال النقل بالعرف أو الشرع وثالثها احتمال المجاز ورابعها احتمال الإضمار وخامسها احتمال التخصيص"[٦].

من أجل ذلك استعان المفسرون في التفسير التحليلي أو التجزيئي بطرق تضبط فهم الآيات أو الكلمات التي تحتاج إلى بيان، ومما لا شك فيه أنَّ النص مطلقاً كلام، فيه متكلم وفيه مخاطب، والمتكلم هو أدرى بمراده، أما المخاطب فيعتمد على لغة النص ومقتضيات السياق الذي من أجله ورد النص. وهذا يعني أنَّ الأولى بتفسير نص ما هو قائله وذلك يكون إما بسؤاله هو عن مراده، أو النظر في سياق الكلام. وبعد ذلك سؤال من خوطب بهذا الكلام مباشرة لأنه يعرف لغة زمان الخطاب والأسباب التي من أجلها سيق الكلام. وكلما غاب السامع عن زمان التكلم زادت حاجته لضوابط يفهم منها كلام صاحب الكلام. وبهذا الأساس المنطقي كان تفسير القرآن بالقرآن هو أفضل الطرق لفهم مراد

---

[٤] الشريف حاتم العوني، **إضاءات بحثية في علوم السنة النبوية وبعض المسائل الشرعية**، (الرياض: دار الصميعي للنشر والتوزيع، د.ط، ١٤٢٨هـ)، ص٤٣٨.

[٥] الشريف حاتم العوني، **إضاءات بحثية في علوم السنة النبوية وبعض المسائل الشرعية**، مرجع سابق، ص٤٣٩.

[٦] محمد بن مكرم بن علي ابن منظور، **لسان العرب**، (بيروت: دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ) ج٧، ص٣٤٠.

الله ﷻ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أُجْمِلَ في مكان فإنه قد فُسِّرَ في موضع آخر، وما اخْتُصِر من مكان فقد بُسِطَ في موضع آخر"[٧]، وهذا الضابط لا خلاف بين العلماء في اعتباره، إلا أنَّ اعتباره لا يعني أنه عمل آلي لا يقوم على شيء من النظر، قال الذهبي في كتاب التفسير والمفسرون: "هذا هو تفسير القرآن بالقرآن، وهو ما كان يرجع إليه الصحابة في تعرف بعض معاني القرآن، وليس هذا عملاً آلياً لا يقوم على شيء من النظر، وإنما هو عمل يقوم على كثير من التدبر والتعقل"[٨]، وبما أن الأمر كذلك فهو قابل للتطوير بحيث يكون بالإمكان اعتباره ضابطاً للتفسير الموضوعي للسورة القرآنية. ويمكن تناول تلك الضوابط النقلية من خلال الآتي:

الضابط الأول: القرآن والبيان وأثرهما في فهم السورة.

اعتمد كلُّ المفسرين القرآنَ الكريمَ مصدراً للتفسير، ولهم في ذلك مستند شرعي قوي، وهو قول الله تعالى: ﴿**إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۞ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ۞ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ**﴾ [القيامة: ١٧، ١٨، ١٩]، قال ابن كثير: "وتكفل له –يعني النبي ﷺ– أن يجمعه في صدره، وأن ييسره لأدائه على الوجه الذي ألقاه إليه، وأن يبينه له ويفسره ويوضحه"[٩]، وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ **الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ**﴾ [هود: ١]، "هي محكمة في لفظها، مفصلة في معناها، فهو كامل صورة ومعنى"[١٠]. ولهذا النوع من التفسير مستند قوي من حديث رسول الله ﷺ فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: "لما نزلت ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ**﴾ [الأَنْعَامِ: ٨٢]، قلنا: يا

---

[٧] أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، **مقدمة في أصول التفسير**، (بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٨٠م) ص٣٩.

[٨] محمد حسين الذهبي، **التفسير والمفسرون**، مرجع سابق، ج١، ص٣٣.

[٩] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (القاهرة: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠-١٩٩٩) ج٨، ص٢٧٨.

[١٠] إسماعيل بن عمر بن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، مرجع سابق، ج ٤، ص٣٠٣.

رسول الله، أينا لا يظلم نفسه؟ قال: «ليس كما تقولون: ﴿**لَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ**﴾ بشرك، أولم تسمعوا إلى قول لقمان لابنه: ﴿**يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾ [لقمان: ١٣]» [١١].

ولقد اقتصر عمل المفسرين في هذا الباب على حمل المجمل على المفسر، والمبهم على المبين والمطلق على المقيد، وكل هذا من قبيل التفسير التحليلي، واعتبروه أعلى أنواع التفسير بالمأثور، قال محمد حسين الذهبي تحت مصطلح التفسير بالمأثور: "يشمل التفسير المأثور: ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته"[١٢]، ويمكن الاعتراض على هذه النسبة حيث أن المأثور هو ما أثر عن السلف من تفسيرات للقرآن بالقرآن، وإلا لقلنا أنَّ تفسير الخوارج لبعض آيات القرآن بالقرآن من التفسير بالمأثور؛ لأنه من تفسير القرآن بالقرآن، وهذا لا يقول به أحد. أما تفسير القرآن بالقرآن من حيث هو منهج فحمل معنى آية على آية أخرى من اجتهاد المفسر إلا أن يكون المفسر هو رسول الله ﷺ، قال الدكتور مساعد بن سليمان الطيار: "ومن هنا يجب أن تُفَرِّقَ بين كون القرآن مصدرًا من مصادر التفسير، أو أنه أحسن طرق التفسير، وبين كون التفسير به يُعدُّ من التفسير بالمأثور، والفرق بين هذين واضحٌ"[١٣]، وعزا الدكتور الطيار سبب الخلط في المصطلح إلى الفهم الخاطئ لكلام شيخ الإسلام في حديثه عن أحسن طرق التفسير وذكر منها القرآن[١٤]، وهذه النظرة تتفق مع الدراسة التي نحن بصددها، فاعتبار الآيات والألفاظ الواردة في ذات السورة وتناولها بمنهج معين هو ضابط من ضوابط التفسير الموضوعي للسورة القرآنية هو من قبيل الاجتهاد الخاضع للقبول إذا حفت به شروط القبول كأي بحث علمي. وقبل الشروع في البحث عن إمكانية جعل القرآن ضابطاً من ضوابط التفسير الموضوعي للسورة القرآنية، لا بد من معرفة معنى البيان وعلاقته في فهم القرآن.

---

[١١] أخرجه البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله، ج٤، ص١٦٣، رقم: ٣٤٢٩.

[١٢] محمد حسين الذهبي، **التفسير والمفسرون**، (القاهرة: مكتبة وهبة، د.ط، د.ت)، ج١، ص١١٢.

[١٣] مساعد بن سليمان الطيار، **مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر**، (السعودية، دار ابن الجوزي، ١٤٢٧هـ) ص٢٤.

[١٤] المرجع السابق، ص٢٤.

أولاً: القرآن والبيان

القرآن هو "الكلام المعجز المنزل على النبي ﷺ المكتوب في المصاحف المنقول بالتواتر المتعبد بتلاوته"[١٥] نزل به جبريل الأمين على قلب النبي الكريم ﷺ، قال تعالى: ﴿**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ**﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٤]، تكفل الله بحفظه فقال: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ [الحجر: ٩]، وتكفل الله لنبيه عليه الصلاة والسلام بالبيان، فقال: ﴿ **إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۞ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ۞ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ**﴾ [القيامة: ١٧-١٩]، وأمر الله ﷻ نبيه ﷺ بالبيان فقال: ﴿**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [النحل: ٤٤]، فما المراد بالبيان عموماً؟ وما المراد بالبيان هنا؟ وهل بقي على المسلمين واجب تجاه بيان القرآن؟

البيان لغة: مادة الكلام (بيْن) أي موضع للخلالة بين الشيئين ووسطهما، يقال بان الصبح أي ظهر[١٦]، وذلك لا يتم إلا بانفصال النهار عن الليل. والبينة الدلالة الواضحة عقلية كانت أو محسوسة، والبيان هو الكشف عن الشيء[١٧].

البيان في اصطلاح القرآن: قد اختلف العلماء بالمراد منه، ففي قوله تعالى: ﴿**الرَّحْمَنُ ۞ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۞ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۞ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**﴾ [الرحمن: ١-٤]، اختلف العلماء في المراد بالبيان، فمن قال بأن المراد بالإنسان كل ابن آدم فقالوا إن المراد بالبيان النطق والتمييز، وقيل ما يقول أو يُقال وهذا قريب من الأول. وقيل الحلال والحرام أو الخير والشر أو طرق الهدى وهذه أقوال متقاربة. أمَّا من قال بأن المقصود بالإنسان هو آدم عليه السلام فذهب أنَّ المراد بالبيان أسماء كل شيء أو بيان كل شيء أو اللغات. أما من قال بأن المراد بالإنسان هنا محمد ﷺ فقال المراد بالبيان علم كل شيء[١٨].

---

[١٥] محمد عبد العظيم الزرقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، مرجع سابق، ج١، ص١٩.

[١٦] الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن** (دمشق: دار القلم، ط١، ١٤١٢) ج١، ص١٥٦.

[١٧] المرجع السابق، ج١، ص١٥٧.

[١٨] عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير** (بيروت: دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٢٢) ج٤، ص٢٠٦.

والآية في سورة الرحمن جاءت في معرض الامتنان بالنعم فالعموم فيها أقرب للصواب، والنطق والتميز من أعظم نعم الله على الإنسان، وهو إما مخاطب فيحتاج إلى بيان ما في نفسه، وإما مستمع أو قارئ فيحتاج إلى كلام بيِّنٍ واضح يفهمه.

وأول درجات الفهم عند المستمع أو القارئ هي معرفة اللغة التي خُوطب بها. والقرآن نزل بلسان عربي مبين فمعرفة الألفاظ والتراكيب وأساليب الكلام وقت نزوله هي الأساس الأول للفهم، قال ابن خلدون: "وأمَّا التفسير فاعلم أنَّ القرآن نزل بلغة العرب وعلى أساليب بلاغتهم فكانوا كلَّهم يفهمونه ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه"[١٩]. وهذا لا يعني أنَّ الصحابة كانوا لا يحتاجون إلى من يبين لهم ما تضمنه القرآن من معانٍ وقصص وأمثال، فالفهم يحتاج إلى تفكر وتدبر "إذ الفهم لا يتوقف على معرفة اللغة وحدها، بل لا بد لمن يفتش عن المعاني ويبحث عنها مِنْ أن تكون له موهبة عقلية خاصة، تتناسب مع درجة الكتاب وقوة تأليفه"[٢٠]. والنبي ﷺ بلغ رسالة ربه على أتم الوجوه، قال تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لكم الإسلام ديناً**﴾ [المائدة: ٣]، وقال جلَّ من قائل: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ**﴾ [المائدة: ٦٧]، وفي الحديث قالت عائشة 1: "ومن زعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتم شيئا من كتاب الله، فقد أعظم على الله الفرية"[٢١]. ولا يتم البلاغ ولا يكمل الدين ولا يتم إلا بتمام البيان، فالصحابة ﷺ جمعوا بين الحسنيين، أولاهما: معرفة اللغة ألفاظاً وتراكيب وأساليب، والثاني: بيان للمعاني الخفية من رسول الله ﷺ. قال ابن تيمية: "ومن المعلوم أن كل كلام فالمقصود منه فهم

---

[١٩] عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر** (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨) ص٥٥٣.

[٢٠] محمد حسين الذهبي، **التفسير والمفسرون**، مرجع سابق، ج١، ص٢٩.

[٢١] أخرجه مسلم، **صحيح مسلم**، باب معنى قوله تعالى (ولقد رآه نزلة أخرى) وهل رأى النبي ربه ليلة الأسراء، ج١، ص١٥٩، حديث رقم: ١٧٧.

معانيه دون مجرد ألفاظه، فالقرآن أولى بذلك. وأيضا، فالعادة تمنع أن يقرأ قوم كتاباً في فن من العلم كالطب والحساب ولا يستشرحوه، فكيف بكلام الله الذي هو عصمتهم وبه نجاتهم وسعادتهم وقيام دينهم ودنياهم"[٢٢].

ويكيفك أن تعلم أنَّ عمر بن الخطاب ﷺ على جلالة قدره ورجاحة عقله مكث على سورة البقرة ثمان سنين يتعلمها[٢٣]. إلا أن دواعي النقل والتدوين لم تكن موجودة في ذلك الزمان، واقتصر الأمر على التلقين، "ومن التابعين من تلقى جميع التفسير عن الصحابة، كما قال مجاهد: عرضت المصحف على ابن عباس أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها"[٢٤]. والحاصل أنَّ البيان كان تاماً عند أصحاب النبي ﷺ؛ لأن القرآن نزل بلغتهم، ونزل منجماً على حسب الوقائع التي يعرفونها، والموضوعات التي جاء القرآن بها ليثبت حجتهم وليزيل الشبهة التي كان أهل الباطل يلقونها عليهم حاضرة في أذهانهم، فلا ترى خلافاً بينهم في التفسير والتأويل إلا ما كان من قبيل تنوع الألفاظ لا التضاد بينها، قال ابن تيمية: "الخلاف بين السلف في التفسير قليل، وخلافهم في الأحكام أكثر من خلافهم في التفسير، وغالب ما يصح عنهم من الخلاف يرجع إلى اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد"[٢٥].

وأكبر دليل على حصول هذا القدر الكبير من البيان عند أصحاب ﷺ وعند التابعين من بعدهم هو الاجتماع والائتلاف الذي كان بينهم، هذا الائتلاف الذي كانت ثمرته فهم واقع الحياة والتعامل مع مستجداتها وفق منهج أساسه كتاب الله ﷻ؛ الأمر الذي جعلهم قادة للأمم.

وبعد عصر الصحابة والتابعين ظهرت اتجاهات جديدة وأصبحت المعارف علوماً تدون في كتب تختص بها، فاعتنى ثلة من العلماء الأجلاء بنقل تلك الآثار بأسانيدها دون التعرض لأسرار البيان المودع فيها، وما احتاج إلى مزيد

---

[٢٢] أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، **مقدمة في أصول التفسير**، مرجع سابق، ص١٠.

[٢٣] مالك بن أنس بن مالك المدني، **الموطأ**، (أبو ظبي: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م) ج٢، ص٢٨٧.

[٢٤] أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، **مقدمة في أصول التفسير**، مرجع سابق، ص١٠.

[٢٥] المرجع السابق، ص١١.

من البيان من قصص الأمم التي بادت فإن مردهم إلى أهل الكتاب فامتلأت التفاسير بالنقل عن بني إسرائيل[٢٦]. وبعد ذلك ظهرت الفرق الكلامية التي حاولت نصرة مذهبها من خلال تفسير القرآن الكريم كالمعتزلة وغيرها من الفرق.

والمخرج من هذا كله هو الرجوع إلى القرآن باعتباره المصدر الأول للبيان، ولكن بمنهج جديد لا يكتفي بالمنقول عن السلف، بل يُعمِل العقل الذي أمرنا الله بإعماله في السورة القرآنية باعتبارها وحدة موضوعية يفسر بعضها بعضاً، وما علينا إلى تكرار النظر مرة بعد مرة في كلماتها وآياتها وقصصها للوقوف على منهج واضح لمعرفة موضوع السورة من السورة نفسِها. فالسورة هي: "الطائفة المترجمة توقيفًا؛ أي المسماة باسم خاص بتوقيف من النبي ﷺ؛ أو هي: طائفة من آيات القرآن جمعت وضم بعضها إلى بعض حتى بلغت في الطول المقدار الذي أراده الله تعالى لها"[٢٧]. وتفترض الدراسة وجود ضوابط منهجية لمعرفة موضوع السورة من خلال النظر في آياتها وبعض كلماتها، وذلك وفق خطوات عقلية لها أصول شرعية من كتاب الله ﷻ وسنة رسول الله ﷺ.

ثانياً: تفسير السورة بالسورة ذاتها

تفترض الدراسة أن تكرار النظر في السورة ذاتها مرة تلو الأخرى، يُمَكِّن القارئ من معرفة المعاني الواردة، وفهم تفسير السورة، بناء على أن أفضل تفسير للقرآن هو القرآن ذاته، وذلك -كما تفترض الدراسة- من خلال ثلاث نقاط، وهي كالآتي:

~~١. تكرار الألفاظ في القرآن~~

[٢٦] انظر: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر**، مرجع سابق، ص٥٥٥.

[٢٧] محمد محمد أبوشهبة، **المدخل لدراسة القرآن، مرجع سابق**، ص٢٨٥.

إنَّ الناظر في النصوص عموماً يبحث عن الموضوع الرئيسي الذي يحاول النص معالجته، فإذا أطبق عليه استطاع أن يجمع أطراف النص وأبعاده الفكرية، وكلما كان الكاتب لهذا النص عالماً بالموضوع ملماً به كان قادراً على وضع الحلول وإقامة الحجج والبراهين عليه. أما المتلقي فعليه مسؤولية استنطاق النص لمعرفة الغاية الأساسية منه، وذلك في حال عَسُرَ عليه سؤال صاحب النَّص عن مراده منه.

ومن أعظم الأساليب المعينة على فهم المقصد الأساسي من نص ما هو النظر والتأمل في النص والبحث عن الكلمات التي تحمل ذات الفكرة وتكررها بأشكال مختلفة. والتكرار في النص أمر تعرفه العرب فبلغتهم نزل القرآن الكريم، قال ابن قتيبة في كتابه تأويل مشكل القرآن: "وأما تكرار الكلام من جنس واحد وبعضه يجزئ عن بعض، كتكراره في: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ**﴾، وفي سورة الرحمن بقوله: ﴿**فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ**﴾ فقد أعلمتك أنَّ القرآن نزل بلسان القوم، وعلى مذاهبهم. ومن مذاهبهم التكرار إرادةَ التوكيد والإفهام"[٢٨]؛ وقال الباقلاني في كتابه الانتصار للقرآن: "وللتكرار فوائدُ نحن ذاكروها -إن شاء الله- فمنها أنَّ الله ﷻ لما خاطب العرب بلسانها على وجهِ ما تستعملها في خطابها، وكانت تستجيزُ الإطالةَ والتكرارَ تارةً إذا ظنوا أن ذلك أبلغُ في مُرادِها وأنجع"[٢٩].

وتكرار الألفاظ قد يكون تكرار آية من القرآن أكثر من مرة في سورة واحدة، مثل قوله تعالى: ﴿**فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ**﴾ فقد تكررت الآية في ذات السورة إحدى وثلاثين مرة. وقد تتكرر الآية ذاتها في سور مختلفة، مثل قوله تعالى: ﴿**وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ فقد وردت في ست سور مختلفة[٣٠]. وقد تتكرر الآية ولكن مع زيادة أو نقص أو تغيير في موضع دون آخر، مثل قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿**فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ**﴾ [البقرة: ٥٩]، وجاء مثلها مع زيادة ونقص

---

[٢٨] عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، **تأويل مشكل القرآن**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط٢، ٢٠٠٧) ص١٤٩.

[٢٩] محمد بن الطيب بن محمد المعروف بالقاضي الباقلاني، **الانتصار للقرآن**، (بيروت: دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٢-٢٠٠١) ص٨٠٠,

[٣٠] سورة يونس: الآية ٤٨، وسورة الأنبياء: الآية ٣٨، وسورة النمل: الآية ٧١، وسورة سبأ: الآية ٢٩، وسورة يس: الآية ٤٨، وسورة الملك: الآية ٢٥.

وتغيير في سورة الأعراف: ﴿**فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ**﴾ [الأعراف: ١٦٢].

وكان موقف العلماء من هذا النوع من التكرار هو بيان أنَّ التكرار في الآيات له أغراض منها التأكيد أو الزجر والتخويف، أما الآيات المتشابهة مع زيادة أو نقص أو تغيير فقد اعتنى بها العلماء عناية كبيرة، وعدُّوها من متشابه اللفظ في القرآن، وأول من صنف في هذا الباب هو الخطيب الإسكافي في كتابه (درة التنزيل وغرة التأويل) ذكر ذلك ابن الزبير الغرناطي في مقدمة كتابه (ملاك التأويل) فقال: "وَرَدَ عليَّ كتاب لبعض المعتنين من جِلَة المشارقة نفعه الله، سماه بكتاب درة التنزيل وغرة التأويل، قرع به مغلق هذا الباب، وأتى في هذا المقصد بصفو من التوجيهات لباب، وعرف أنه باب لم يُوجِف عنه أحد قبله بخيل ولا ركاب"[٣١].

ومن أبرز الكتب في هذا المجال أيضا كتاب (البرهان في توجيه متشابه القرآن)، قال المؤلف في مقدمته: "فإن هذا كتاب أذكر فيه الآيات المتشابهات التي تكررت في القرآن وألفاظها متفقة ولكن وقع في بعضها زيادة أو نقصان أو تقديم أو تأخير أو إبدال حرف مكان حرف أو غير ذلك مما يوجب اختلافاً بين الآيتين أو الآيات التي تكررت من غير زيادة ولا نقصان، وأبين ما السبب في تكرارها والفائدة في إعادتها وما الموجب للزيادة والنقصان والتقديم والتأخير والإبدال، وما الحكمة في تخصيص الآية بذلك دون الآية الأخرى وهل كان يصلح ما في هذه السورة مكان ما في السورة التي تشاكلها أم لا؟"[٣٢].

ومن الكتب التي اعتنت بهذا الباب أيضاً كتاب (ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من أي التنزيل)، قال في مقدمة كتابه: "إنه باب لم يقرعه ممن تقدم وسلف، وممن حذا حذوهم ممن أتى بعدهم

---

[٣١] أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي، **ملاك التأويل القاطع بذوي الألحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من أي التنزيل**، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط٢، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م) ص١٤٦.

[٣٢] محمود بن حمزة بن نصر الكرماني، **البرهان في توجيه متشابه القرآن**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م) ص ١٩-٢٠.

وخَلف أحدٌ فيما علمته على توالي الأعصار والمدد وترادف أيام الأبد مع عظيم موقعه وجليل منزعه ومكانته في الدين وفتِّه أعضاد ذوي الشك والارتياب من الطاعنين والملحدين"[٣٣]. واستثنى من ذلك الخطيب الإسكافي في كتابه درة التنزيل وغرة التأويل.

والذي تفترضه الدراسة بأنه من الضوابط المنهجية المعينة على فهم موضوع السورة ملاحظة الألفاظ المتكررة، والمراد تلك الألفاظ التي ليس الأصل فيها التكرار كحروف المعاني والضمائر وأسماء الاستفهام وأسماء الشرط، والأسماء المبهمة كالاسم الموصول وغيرها مما لا تستقيم الجمل إلا به، بل المراد الألفاظ التي تتكرر بغرض التأكيد على أهمية الموضوع الذي من أجله سيقت اللفظة القرآنية. وهو عمل يقوم على أساس قراءة النص مرات ومرات مع تدوين الألفاظ التي تتكرر، ومن المكن أن تكون هذه الألفاظ قضايا كلية تحملها السورة ذاتها، ثم لا يأتي الجزم مباشرة على أنَّ هذه الكلمات المحورية هي مقصد السورة الأساسي إلا بعد إعمال بقية الضوابط التي ستأتي في الدراسة. وحتى يتم البيان في هذا المحور ستتناول الدراسة سورة الأحزاب وهي إحدى السور التي اتخذها البحث نموذجاً للدراسة.

إنَّ قراءة سورة الأحزاب بشكل مستمر وتسجيل الملاحظات حول الكلمات المتكررة، والتي من الممكن اعتبارها قضايا كلية قابلة للارتباط ببقية عناصر السورة من قصص وأمثال وأحكام شرعية وقضايا كونية وغيرها من عناصر السورة، يجعلك تتوقف عند كلمة (الأذى) ومشتقاتها فقد وردت في السورة على النحو الآتي:

	الآية	رقم الآية
١	**﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾**	٤٨

[٣٣] أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي، **ملاك التأويل**، مرجع سابق، ص١٤٥-١٤٦.

٢	فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ﴾	٥٣
٣	﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عند الله عظيماً﴾	٥٣
٤	﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾	٥٧
٥	﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾	٥٨
٦	﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾	٥٩
٧	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾	٦٩

هذا التكرار للفظة الإيذاء في سورة الأحزاب تقتضي الوقوف عندها، وهي من الألفاظ التي تحمل قضية كلية كان النبي ﷺ يعاني منها أثناء دعوته، وكذلك أمته من بعده، وهي قضية تقتضي معالجة شرعية من نوع خاص، وهذا لا يعني بالضرورة أنَّ مجرد تكرار هذه اللفظة أن نحكم بأنه المقصد الرئيس الذي بنيت عليه السورة، بل لا بد من اختبار ذلك المقصد وعرضه على بقية الضوابط المنهجية التي تفترضها الدراسة.

٢. تكرار القصة في القرآن

ومن أنواع التكرار في القرآن تكرار القصة القرآنية الواحدة في مواضع مختلفة، تارة بإيجاز واختصار، وتارة بإطناب وتفصيل، "قال بعضهم ذكر الله موسى في مئة وعشرين موضعاً من كتابه، قال ابن العربي في القواصم: ذكر الله قصة نوح في خمسة وعشرين آية، وقصة موسى في سبعين آية"[٣٤].

وذكر الزركشي أسباباً لذلك التكرار بعضها فيه تكلف شديد، فقد عزا ذلك إلى كون المهاجرين يتوافدون على رسول الله ﷺ، والبعض الآخر يأتي لاحقاً، فلو نزلت القصة كاملة لفات البعض منهم ما حصله الآخرون، فأراد الله اشتراك الجميع فيها. وذكر أيضاً أنَّ الدواعيَ لنقل القصص لا تتوافر كما هو الحال في نقل الأحكام الشرعية، فجاء التكرار فيها خلافاً للأحكام الشرعية"[٣٥]. وأعدل الأقوال هو أنَّ القصة إذا سيقت لغرض معين وكان المراد من نقلها ضرب الأمثال وإقامة الحجج والبراهين لم يكن ذلك تكراراً، قال الخطيب الإسكافي: "إذا أعيد الكلام لأسباب مختلفة لم يسم تكراراً"[٣٦]، وقال الباقلاني كلاما قريباً منه: "ويستغث التكرار إذا كان في موقف واحد، وسبب واحد، والله سبحانه إنما كرر بعض القصص والوعد والوعيد في أوقات متغايرة ولأسباب مختلفة فحسن ذلك منه تعالى وساغ على عادة أهل اللسان"[٣٧].

وهذا المعنى الدقيق يؤكد أنَّ المراد من تكرار القصة ليس التنويع والتفنن في الأساليب، بل هو التقرير والتأكيد على المقصد الكلي الموجود في السورة القرآنية التي وردت فيها هذه القصة، فالقصة بمثابة الدليل والبرهان في القرآن، وليست سرداً للتاريخ، فمن الرسل ما قص الله عليهم أخبرانا ومنهم من يذكر لنا منهم شيئاً، ولو كان الغرض من ذكر القصة معرفة تاريخ الأمم لقص الله ﷻ علينا خبرهم.

---

[٣٤] محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، مرجع سابق، ج١، ص١٥٦.

[٣٥] محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، البرهان في علوم القرآن، مرجع سابق، ج١، ص١٥٦.

[٣٦] محمد بن عبد الله المعروف بالخطيب الإسكافي، **درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز**، (بيروت: دار الآفاق الجديدة، ط٤، ١٤٠١هـ-١٩٨١م)، ص٨٢.

[٣٧] محمد بن الطيب بن محمد المعروف بالقاضي الباقلاني، **الانتصار للقرآن**، مرجع سابق، ص٨٠٢.

ومن هنا يأتي الضابط الثاني من الضوابط المنهجية لفهم موضوع السورة القرآنية، وهو حصر القصص التي وردت في السورة ولو كان ظاهرها الاختلاف والتنوع، ثم البحث عن الرابط الذي يجمعها، واعتباره مقصداً من مقاصد السورة. ولو طبقنا هذا على سورة الأحزاب التي تضمنت معنى الإيذاء، لظهر لنا جلياً لماذا لم يُذكر لنا في هذه السورة تحديداً من خبر موسى عليه السلام وهو أكثر الأنبياء ذكراً في القرآن إلا آية واحدة فقط وهي قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا**﴾ [الأحزاب: ٦٩]، هذا الطرف اليسير من قصة موسى عليه السلام لم يذكر في أي سورة أخرى، والسبب في ذلك أنه جزء متعلق بالمقصد الأساسي من سورة الأحزاب التي ستأتي الدراسة على تطبيق الضوابط المنهجية المقترحة عليها بأمر الله.

٣. تكرار الأحكام الشرعية

تتضمن بعض السور ذات الموضوعات التي ظاهرها الاختلاف أحكاماً شرعية متنوعة. والنظرة الموضوعية للسورة تقتضي وجود رابط بين تلك الأحكام الشرعية، هذا الرابط لا بد أن يتفق مع الألفاظ التي تحمل قضايا كلية، ويتفق مع القضايا التي تحملها القصص الواردة في السورة ذاتها. فإذا كانت الأحكام لها علاقة وثيقة بالمقصد الذي من أجله نزلت السورة يمكننا أن نعتبر ذلك تكراراً بهذا الوجه. وبعبارة أخرى أحكام شرعية ظاهرها التنوع وحقيقتها تكرار لقضية مشتركة.

ويتضح ذلك من خلال النظر إلى سورة الأحزاب فقد تضمن بعض الأحكام الشرعية التي ظاهرها التباين والاختلاف، وهي:

	الحكم الشرعي	الآية	رقم الآية
١	تحريم التبني	﴿**ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ**﴾	٥

٢	آيات الحجاب	﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾	٥٩
٣	الأحكام الخاصة بالنبي عليه الصلاة والسلام (تخير نساء النبي– الاستئذان على النبي– حرمة نكاح أزواج النبي)	﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۞ وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾	٢٨-٢٩
		﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾	٥٣
		﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عند الله عظيماً﴾	٥٣

إذا كان المقصد حاضراً فيمكننا القول بأن هذه الأحكام الشرعية التي ظاهرها التنوع والاختلاف متشابهة في المعنى من حيث كونها تعالج قضايا الأذى الذي كان يلحق بالمؤمنين نتيجة اتباع بعض الأحكام الشرعية التي أنزلها الله ﷻ، تلك الأحكام التي في اتباعها مشقة ناشئة عن الضغط الاجتماعي الذي يمارسه المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في مدينة رسول الله ﷺ. قال تعالى: ﴿ **لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا** ﴾ [الأحزاب: ٦٠]، قال الرازي في التفسير الكبير: "لما ذكر حال

المشرك الذي يؤذي الله ورسوله، والمجاهر الذي يؤذي المؤمنين، ذكر حال المُسِرِّ الذي يُظهر الحق ويُضمر الباطل وهو المنافق، ولما كان المذكور من قبل أقواماً ثلاثة نظراً إلى اعتبار أمور ثلاثة: وهم المؤذون الله، والمؤذون الرسول، والمؤذون المؤمنين، ذكر من المسرين ثلاثة نظراً إلى اعتبار أمور ثلاثة أحدها: المنافق الذي يؤذي الله سراً، والثاني الذي في قلبه مرض الذي يؤذي المؤمن باتباع نسائه، والثالث المرجف الذي يؤذي النبي ﷺ بالإرجاف بقوله غُلِب محمد وسيخرج من المدينة وسيؤخذ"[٣٨].

كل هذه الاعتبارات تؤكد أن السورة القرآنية تحمل قضية أساسية ومقصداً رئيساً تنتظم تحته الكلمات والجمل والقصص والأحكام الشرعية لتشكل عقداً فريداً لا يعرف قدره إلا من نال الحظ الأوفر من تدبر كتاب الله ﷻ.

خلاصة هذا الضابط: تخلص هذه النقطة المهمة إلى وجود ضابط منهجي لفهم مقصد السورة القرآنية ذات الموضوعات التي ظاهرها الاختلاف، هذا الضابط هو (تفسير السورة بالسورة ذاتها) من خلال النظر في ثلاثة أمور:

١- ~~الكلمات المتكررة والتي تحمل في طياتها قضايا كلية ومحورية.~~
٢- ~~القصص المتنوعة وعلاقتها بالقضايا الكلية التي دلت عليها الكلمات المحورية.~~
٣- ~~الأحكام الشرعية وعلاقتها بالقصص الواردة في السورة والكلمات المحورية فيها.~~

الضابط الثاني: البعد التاريخي والاجتماعي المتعلق بالسورة

---

[٣٨] عبد الله بن محمد بن عمر الرازي المعروف بالفخر الرازي، **التفسير الكبير**، (بيروت: دار إحياء التراث، ط٣، ١٤٢٠هـ)، ج٢٥، ص١٨٤.

ظهر جلياً من خلال المسألة السابقة أهمية النظر في القصص والأحكام الشرعية الواردة في السورة القرآنية، وهذا النظر يحتاج إلى معرفة البعد التاريخي والواقع الاجتماعي وقت نزول آيات السورة، وقد تناول العلماء الذي كتبوا في علم التفسير هذه المسألة تحت مباحث متعددة، وهي: (أسباب النزول – الأحاديث النبوية –كتب السيرة – الإسرائيليات). إلا أنهم لم يربطوا تلك المباحث بالمقصد الأساسي في السورة القرآنية التي وردت فيها تلك الآيات. لذا ستتناول الدراسة هذه المسائل ومدى إمكانية اعتبارها إحدى الضوابط المنهجية المعينة على التفسير الموضوعي للسورة القرآنية، وهل هناك مصادر أخرى يمكن من خلالها الوقوف على الأبعاد التاريخية والاجتماعية للآيات الواردة في السورة؛ وذلك من خلال المطالب الآتية:

أولاً: أسباب النزول وعلاقتها بالبعد التاريخي والاجتماعي لسور القرآن

معلوم أنَّ القرآن نزل منجماً حسب الوقائع، وذلك تثبيتاً لقلب النبي ﷺ، وتثبيتاً لأمته من بعده قال تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا**﴾ [الفرقان: ٣٢]، وقد اختلف العلماء في المعنى المراد بالتثبيت، وقد أجملها البقاعي في تفسيره فقال: "لنثبت به فؤادك" بالإغاثة بتردد الرسل بيننا وبينك، وبتمكينك وتمكين أتباعك من تفهم المعاني، وتخفيفاً للأحكام في تحميلها أهلَ الإسلام بالتدريج على حسب المصالح، ولتنافي الحكمة في الناسخ والمنسوخ لما رتب فيه من المصالح، وتسهيلاً للحفظ لا سيما والأمة أمية لا تقرأ ولا تكتب، وتلقيناً للأجوبة في أوقاتها"[٣٩]، ومن أجل هذا ظهرت بعض علوم القرآن، كالناسخ والمنسوخ، وعلم أسباب النزول. والذي سوف تتناوله الدراسة هو علم أسباب النزول باعتباره يمثل البعد التاريخي ويمثل الحالة الاجتماعية حال نزول القرآن على فؤاد النبي ﷺ تثبيتاً له.

[٣٩] إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي)، ج١٣، ص٣٨٠.

وقد قسم العلماء ما نزل من آيات القرآن إلى قسمين، قسم نزل ابتداء دون سبب يقتضي نزوله، إنما الغرض منه هداية الناس للصراط المستقيم، وقسم منه نزل لمناسبة خاصة، وقد عرَّفه الزرقاني في مناهل العرفان فقال: "هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه أو مبينة لحكمه أيام وقوعه. والمعنى أنه حادثة وقعت في زمن النبي ﷺ أو سؤال وجه إليه فنزلت الآية أو الآيات من الله تعالى ببيان ما يتصل بتلك الحادثة أو بجواب هذا السؤال"[٤٠]، ومعرفة هذه الأسباب ضروري لفهم كلام الله ﷻ، يدل على ذلك ما رواه مسلم عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قال: قلت لها: إني لأظن رجلاً لو لم يطف بين الصفا والمروة ما ضره. قالت: «"لم؟" قلت: لأن الله تعالى يقول: ﴿**إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ**﴾ إلى آخر الآية. فقالت: ما أتم الله حج امرئ ولا عمرته لم يطف بين الصفا والمروة، ولو كان كما تقول لكان: فلا جناح عليه ألا يطوف بهما، وهل تدري فيما كان ذاك؟ إنما كان ذاك أنَّ الأنصار كانوا يهلون في الجاهلية لصنمين على شط البحر، يقال لهما إساف ونائلة، ثم يجيئون فيطوفون بين الصفا والمروة، ثم يحلقون. فلما جاء الإسلام كرهوا أن يطوفوا بينهما للذي كانوا يصنعون في الجاهلية، قالت: فأنزل الله ﷻ: ﴿**إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ**﴾ إلى آخرها، قالت: فطافوا»[٤١]. هذا تابعي لم يعرف معنى الآية الكريمة لأنه لم يعرف البعد التاريخي والعادات الاجتماعية التي كانت سائدة رغم قرب عهده من نزول القرآن، فكيف بمن مضت عليه قرون من الزمان.

إلا أنَّ جهود العلماء في باب أسباب النزول تركزت حول جمعها والنظر في أسانيدها ومعرفة المقبول والمردود منها. أما عن مكانتها في كتب التفسير فلا يخلو كتاب من كتب التفسير من ذكر أسباب النزول عند الآيات التي نزلت لأسباب تقتضي نزولها، وهذا يعَّدُ من التفسير التحليلي للقرآن الكريم.

وتفترض الدراسة أنَّ معرفة سبب نزول الآية لا يقف عند حدود تفسير الآية التي نزلت بسببها، بل إن تلك المعرفة تعين على فهم مقصد السورة الأساسي، ففي سورة الأنعام مثلاً وهي أحدى السور التي ستتناولها الدراسة وردت

---

[٤٠] محمد عبد العظيم الزرقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، (مصر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٣)، ج١، ص١٠٦.

[٤١] أخرجه مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، مرجع سابق، باب بيان أن السعي بين الصفا والمروة ركن لا يصح الحج إلا به، حديث رقم ١٢٧٧، ج٢، ص٩٢٨.

آية تضمنت سبباً من أسباب النزول[٤٢]، وهي قول الله تعالى: ﴿**قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ**﴾ [الأنعام: ١٩]، فقد ذكر الواحدي في تفسيره سبب نزول هذه الآية الكريمة فقال: "قال أهل مكة للنبي ﷺ ائتنا بمَنْ يشهد لك بالنُّبوَّة فإنَّ أهل الكتاب ينكرونك فنزلت هذه الآية"[٤٣] وذكره أيضاً في كتابه أسباب النزول فقال:"(قال الكلبي: إن رؤساء مكة قالوا: يا محمد ما نرى أحداً يصدقك بما تقول من أمر الرسالة، ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا أن ليس لك عندهم ذكر ولا صفة، فأرنا من يشهد لك أنك رسول كما تزعم، فأنزل الله تعالى هذه الآية"[٤٤]. وهذا السبب فيه تناسب لا يخفى على من له عينان بين هذا الآية والتي تليها وهي قوله الله ﷻ: ﴿**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾ [الأنعام: ٢٠].

وقف عمل المفسر لهذه الآية الكريمة عند هذا الحد وهو بيان سبب نزولها، فلم تطلع الدراسة على من حاول ربط هذا السبب بالكلمات المحورية في السورة أو القصص الواردة في السورة أو الأحكام الشرعية التي ورت فيها. ومن خلال سبر ما ورد في السورة يظهر لنا جلياً الترابط الوثيق بين سبب نزول هذه الآية وآيات أخرى في السورة وهي:

~~١- قوله تعالى: ﴿**وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ [الأنعام: ١٤٤]، فالقرآن هنا يخبرنا عن التناقض العجيب الذي عند أهل مكة، يطلبون من النبي ﷺ شاهداً على نبوته، ويعنون بذلك أهل الكتاب الذي كذبوا بآيات الله وافتروا على الله الكذب، ولم يشهدوا لنبيه ﷺ بالنبوة رغم أنهم يعرفون النبي ﷺ كما يعرفون أبناءهم. فجاءت هذه الآية~~

---

[٤٢] محمد بن مكرم بن علي ابن منظور، **لسان العرب**، (بيروت: دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ)، ج٧، ص٣٤٠.

[٤٣] محمد بن مكرم بن علي ابن منظور، **لسان العرب**، (بيروت: دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ) ج٧، ص٣٤٠.

[٤٤] علي بن أحمد بن محمد الواحدي، **أسباب نزول القرآن**، (الدمام: دار الإصلاح، ط٢، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م) ج١، ص٢١٤.

~~لتقيم عليهم الحجة، قال تعالى: ﴿**أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا**﴾ أي هل شاهدتم الله قد حرم هذا[٤٥]. ثم جاء قوله تعالى: ﴿**فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ**﴾ وهذا يعيدنا إلى المعنى الذي ذكره الله في الآيات بعد قوله تعالى: ﴿**قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً**﴾ فقد جاء بعدها بآيتين: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**﴾ [الأنعام: ٢١].~~

~~٢ قوله تعالى: ﴿**قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ**﴾ [الأنعام: ١٥٠]، أي أحضروا من يشهد أن الله حرم تلك الأنعام وحرم ذلك الحرث وأمركم بقتل أبنائكم سفهاً بغير علم، قال ابن عاشور في تفسيره: "والأمر للتعجيز إذ لا يلقون شهداء يشهدون أنَّ الله حرم ما نسبوا إليه تحريمه من شؤون دينهم المتقدم ذكرها"[٤٦]. ثم قال جلَّ شأنه: ﴿**فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ**﴾ أي إن وقع الفرض المستبعد فاحضروا لك شهداء يشهدون أنَّ الله حرم هذا فاعلم أنهم شهود زور فلا تشهد معهم، ولا تتبع أهواء القوم الذين لا يؤمنون بالمعاد ويساوون بين أصنامهم وبين رب العزة سبحانه وتعالى[٤٧]. وختم الآية بقوله: **(وهم بربهم يعدلون)** وهي الكلمة التي بدأ الله ﷻ بها السورة، قال تعالى: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ**﴾ [الأنعام: ١].~~

الحاصل من ذلك أنَّ أسباب النزول هي القضايا التي كان يُسأل عنها أو يتعرض لها النبي ﷺ وأصحابه، فتنزل الآيات بالحجج والبراهين، تثبت قلب النبي ﷺ، وتثبت قلوب المؤمنين، وتُزهق شبه المبطلين. وترسم لنا المنهج القويم في التعامل مع ظروف مشابهة لها، فهي سنة الله ﷻ في خلقه، والتاريخ يعيد نفسه. والمطلوب منَّا أن نجمع تلك الآيات التي نزلت لأسباب معينة، ثم نسجل القضايا المشتركة بينها حتى لو تعارضت المناسبات في ظاهرها ونجعل ذلك أحد الضوابط المنهجية المعينة على فهم السورة القرآنية.

---

[٤٥] عبد الله بن محمد بن أحمد الانصاري القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط٢، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م) ج٧، ص١١٥.

[٤٦] محمد الطاهر بن محمد بن عاشور، **التحرير والتنوير**، (تونس: الدار التونسية، ١٩٨٤م)، ج٨، ص١٥٤.

[٤٧] المرجع السابق، ج٨، ص١٥٤.

ثانياً: الأحاديث النبوية وعلاقتها بالبعد التاريخي والاجتماعي لسور القرآن

تقدم في مقدمة هذا الفصل أنَّ فهم مراد المتكلم يقوم على أساس الرجوع إلى نفس الكلام، فإن وجدنا له شرحاً مبيناً للمقصود بشكل واضح لا لبس فيه فلا مجال للعدول عن هذا الشرح، وهذا ما يُطلق عليه تفسير القرآن بالقرآن. وإذا لم نجد للكلام تفسيراً في بقية نصوص القرآن، فإننا نتجه إلى من ألقي عليه هذا الكلام فهو أولى بفهمه من غيره، خصوصاً إذا كان هو المسؤول عن تبليغيه لغيره، والقرآن نزل على قلب محمد ﷺ ليبينه للناس أجمعين، قال تعالى: ﴿**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [النحل: ٤٤]، وهذا البيان كان بالقول والعمل والإقرار، وهو ما اصطلح عليه العلماءُ بالسنة النبوية، وهي: "في اصطلاح جمهور المحدثين يطلق على قول النبي ﷺ وفعله وتقريره، ومعنى التقرير أنه فعل أو قول أحد شيئاً في حضرته ﷺ ولم ينكره ولم ينهه عن ذلك بل سكت وقرر"[٤٨]. قال البغوي في تفسيره: ﴿**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [النحل: ٤٤]، "أراد بالذكر الوحي، وكان النبي ﷺ مبيناً للوحي، وبيان الكتاب يطلب من السنة[٤٩]. ولذلك اتفقت كلمة العلماء سلفاً وخلفاً على اعتبار السنة مصدراً من مصادر التفسير، قال ابن تيمية: "ولم يكن السلف يقبلون معارضة الآية إلا بآية أخرى تفسرها وتنسخها؛ أو بسنة الرسول ﷺ تفسرها. فإن سنة رسول الله ﷺ تبين القرآن وتدل عليه وتعبر عنه"[٥٠]. إن الرجوع

---

[٤٨] عبد الحق بن سيف الدين بن سعد البخاري، **مقدمة في أصول الحديث**، (بيروت: دار البشائر الإسلامية، ط٢، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م) ج١، ص٣٣.

[٤٩] الحسين بن مسعود البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، (القاهرة: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م) ج٥، ص٢١.

[٥٠] أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، **مجموع الفتاوى**، (المدينة النبوية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م) ج١٣، ص٢٩.

للسنة النبوية في فهم كتاب الله ﷻ يغلق أبواب كثيرة من أبواب الفهم الخاطئ فمن الناس من عارض الكتاب برأيه أو بذوقه أو زعم أنه يكشف له فيأخذ من حيث أخذ المَلَك الذي يأتي الرُسل[٥١].

وهناك فرق بين أسباب النزول وبين السنة النبوية كمصدر للتفسير، فقد تقدم أنَّ أسباب النزول هي السبب المباشر لنزول بعض آيات القرآن الكريم ومعرفة البعد الاجتماعي وقت نزول هذه الآيات. أمَّا الأحاديث النبوية الشريفة فهي المصدر الأشمل لمعرفة البعد الاجتماعي زمن نزول القرآن الكريم. فأسباب النزول تعدُّ من التفسير النبوي للقرآن، أما السنة النبوية فهي مصدر المصادر التي يعتمد عليها المفسر في فهم مراد الله ﷻ.

صحيح أن المفسرين اعتمدوا هذا المصدر من مصادر التفسير، وبناء عليه جاءت كتب التفسير بالمأثور وفيها كم كبير من الأحاديث النبوية التي تتفاوت في درجات القبول بين الصحة والحسن والضعف، وجوز أهل الحديث "التساهل في الأسانيد ورواية ما سوى الموضوع من أنواع الأحاديث الضعيفة من غير اهتمام ببيان ضعفها فيما سوى صفات الله تعالى وأحكام الشريعة من الحلال والحرام وغيرها. وذلك كالمواعظ، والقصص، وفضائل الأعمال، وسائر فنون الترغيب والترهيب، وسائر ما لا تعلق له بالأحكام والعقائد"[٥٢]. ولم تسلم كتب الحديث من الأحاديث الموضوعة والموضوع هو: "هو المختلق المصنوع، وشر الضعيف، وتحرم روايته مع العلم به في أي معنى كان إلا مبينا"[٥٣]، وهو ما لا تحل روايته إلا مقترنا ببيان أنه موضوع مكذوب.

ولا يخفى على أهل التخصص جهود العلماء في تفسير القرآن بالسنة النبوية، إلا أنَّ جهودهم في ربط هذا المصدر بالتفسير الموضوعي للسورة القرآنية لم يأخذ الحظ الأوفر من العناية رغم أنَّ أصل ذلك موجود في سنة رسول الله ﷺ، وذلك في حديث عبدالله بن عباس 5 لما سأله عمر بن الخطاب ﷺ عن تفسير قوله تعالى: ﴿**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ**

---

[٥١] المرجع السابق، ج١٣، ص٢٩.

[٥٢] عثمان بن عبد الرحمن المعروف بابن الصلاح، **معرفة أنواع علوم الحديث**، (بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م) ج١، ص١٠٣.

[٥٣] عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، **تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي**، (بيروت: د. د، ط٢، ١٤١٥هـ) ص٣٢٣.

وَالْفَتْحُ ۞ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ [النصر: ١، ٢] فقال: «أجل رسول الله ﷺ أعلمه إياه، قال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم»[٥٤]. وهذا التفسير من ابن عباس وعمر بن الخطاب يتفق مع فعل النبي ﷺ الذي روته لنا أم المؤمنين عائشة ا حيث قالت: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول قبل أن يموت: «سبحانك وبحمدك، أستغفرك وأتوب إليك»، قالت: قلت يا رسول الله، ما هذه الكلمات التي أراك أحدثتها تقولها؟ قال: «جعلت لي علامة في أمتي إذا رأيتها قلتها»[٥٥]، وهذا هو الفهم الموضوعي للسورة، وهي نعي من الله لرسوله الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم، وهو فهم شمولي يجمع بين السورة القرآنية والحديث الذي روته عائشة لتحكي لنا فعل رسول الله ﷺ وعلة ذلك الفعل الذي عبر عنه النبي الكريم ﷺ بنفسه. والمطلوب هنا أن يجمع المتصدي لتفسير سورة قرآنية ذات موضوعات مختلفة الأحاديث النبوية التي بلغت درجة القبول عند المحدثين. والنظر في أوجه الترابط بينها وبين ما ورد في السورة القرآنية.

ولو أخذنا على سبيل المثال حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها، خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا الذي قال الحق وهو العلي الكبير، فيسمعها مسترقوا السمع، ومسترقوا السمع هكذا بعضهم فوق بعض، ووصف سفيان بعضها فوق بعض، قال: فيسمع الكلمة، فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، ثم يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا، كذا وكذا للكلمة التي سمعت من السماء، فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء»[٥٦]، هذا الحديث ورد في كتب التفسير عند قوله تعالى: **﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾** [سبأ: ٢٣]، إلا أن كتب التفسير لم تذكر لنا علاقة هذا الحديث العظيم بمقصد سورة سبأ، ولا بالآيات

[٥٤] أخرجه البخاري، **صحيح البخاري**، مرجع سابق، ٥ج، ص١٤٩، حديث رقم: ٤٢٩٤.

[٥٥] أخرجه مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، ج١، ص٣٥١، رقم ٤٨٤.

[٥٦] أخرجه البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين، ج٦، ص٨٠، رقم: ٤٧٠١.

الآخرى التي تكرر فيها هذا المعنى وهو نفي علم أحد لما في السموات والأرض، وقد جاء في مطلع السورة قوله تعالى: ﴿ **يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ**﴾ [سبأ: ٢]، وقوله تعالى: ﴿**لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**﴾ [سبأ: ٣]، وقوله تعالى مخبراً عن سليمان عليه السلام: ﴿ **فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ**﴾ [سبأ: ١٤].

هذه الآيات وغيرها في ذات السورة تعالج قضية اجتماعية كانت حاضرة في زمن النبي ﷺ، وهي مصادر التعلم عند العرب قبل الإسلام، ومنها إتيان الكهنة العرافين، وكذلك الأخذ من أهل الكتاب. أما إتيان الكهنة والعرافين فيدل عليه حديث عائشة ١ قالت: سأل أناس رسول الله ﷺ عن الكهان؟ فقال لهم رسول الله ﷺ: «ليسوا بشيء» قالوا: يا رسول الله فإنهم يحدثون أحياناً الشيء يكون حقاً، قال رسول الله ﷺ: «تلك الكلمة من الحق، يخطفها الجني، فيقرها في أذن وليه قر الدجاجة، فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة»[٥٧]. وعن صفية ١ عن بعض أزواج النبي ﷺ عنه قال: «من أتى عرافا فسأله عن شيء، لم تقبل له صلاة أربعين ليلة»[٥٨]، أما عن الأخذ عن أهل الكتاب فيدل عليه ما رواه ابن عباس٥ قال: «إنما كان هذا الحي من الأنصار وهم أهل وثن مع هذا الحي من يهود وهم أهل كتاب وكانوا يرون لهم فضلا عليهم في العلم فكانوا يقتدون بكثير من فعلهم»[٥٩].

[٥٧] أخرجه البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الأدب، باب قول الرجل للشيء: ليس بشيء، وهو ينوي أنه ليس بحق، ج٨، ص٤٧، رقم: ٦٢١٣.

[٥٨] أخرجه مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، ج٤، ص١٥٧١، رق: ٢٢٣٠.

[٥٩] أخرجه أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، **سنن أبي داود**، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، كتاب النكاح، باب في جامع النكاح، (بيروت: المكتبة العصرية، د. ط، د. ت)، ج٢، ص٢٤٩، رقم: ٢١٦٤.

هذه الأحاديث تبين الوضع الاجتماعي حال نزول الوحي، وهو أتيان الكهنة والعرافين وسؤالهم عن كل شؤونهم وحاجاتهم وهو مناسب للجو العام لسورة سبأ التي تظهر تمام ملك الله في السموات والأرض، وتمام علمهم في السموات والأرض، وتضرب لذلك الأمثال بنفي علم الجن خبر موت سليمان عليه السلام. ويأتي ختام السورة منسجماً تماما مع هذا الحقيقة في قوله تعالى: ﴿**وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ**﴾ [سبأ: ٤٥].

قال السمعاني: "أكثر أهل التفسير أن المراد من الآية هو أن هؤلاء الكفار وهم قريش ما بلغوا معشار ما آتينا الذين من قبلهم في القوة والمال والآلة"[٦٠]. فكيف تصدقون قوماً آتاهم الله من القوة ومن العلم ما كان كافياً لحملهم على الإيمان برسلهم والتصديق بوعد ربهم.

وهذا هو الضابط المقترح للتفسير الموضوعي للسورة القرآنية، وهو جمع الأحاديث التي تتعلق بالمعاني الأساسية التي تضمنتها السورة القرآنية للوصول إلى معرفة المقصد الأساسي من هذه السورة.

الضابط الثالث: نظم القرآن ومقتضيات السياق

إنَّ عنصر الكلام ومادته هي الألفاظ والجمل والتراكيب التي تتضمن المعاني، وهذا المقدار يشترك فيه كل من ينطق بلغة مفهومة، ولكن البلاغة والفصاحة تتعلق بطريق نظم الألفاظ والجمل والتراكيب. قال الراغب الأصفهاني: "فأما الإعجاز المتعلق بالفصاحة: فليس يتعلق ذلك بعنصره الذي هو اللفظ والمعنى، وذلك أن ألفاظه ألفاظهم، ولذلك قال تعالى: ﴿**قُرْآنًا عَرَبِيًّا**﴾ [يوسف: ٢]"[٦١]. وبيّن أيضاً أنَّ إعجاز القرآن ليس بالمعاني التي يتضمنها، فالكتب المتقدمة تحمل

[٦٠] منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، **تفسير القرآن**، (دار الوطن: الرياض، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م) ج٤، ص٣٣٩.

[٦١] الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، **تفسير الراغب الأصفهاني**، دراسة وتحقيق محمد عبد العزيز بسيوني، (جامعة طنطا: كلية الآداب، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م) ج١، ص٤٤

كثيراً من معاني القرآن الكريم واستشهد بقوله تعالى: ﴿**وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ**﴾ [الشعراء: ١٩٦]، وقال ٦: "وما هو معجز فيه من جهة المعنى، كالإخبار بالغيب فإعجازه ليس براجع إلى القرآن بما هو قرآن، بل هو لكونه خبراً بالغيب، وذلك سواء كونه النظم أو بغيره، وسواء كان مورداً بالفارسية أو بالعربية أو بلغة أخرى أو بإشارة أو بعبارة"[٦٢].

وبناءً على ما تقدم فإعجاز القرآن أساسه نظمه البديع البليغ. هذا النظم الذي لم ولن يستطيع الإنس والجن ولو اجتمعوا وتظاهروا أن يأتوا بمثله، قال تعالى: ﴿**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**﴾ [الْإِسْرَاءِ: ٨٨]، إنَّ أعظم الناس فصاحةً وبياناً يكتب قصيدة ويبذل فيها وسعه ولا يزال ينقحها، ثم يسمعها آخر فيبدل فيها وينقح. أمَّا كتاب الله ﷻ لو أخذت منه كلمة وبحثت في لسان العرب عن كلمة أحسن منها لتضعها مكانها لم تجد[٦٣]. ولما كان نظم القرآن في أعلى درجات البلاغة والبيان قسَّم بعض العلماء الكلام الفاضل المحمود إلى ثلاث طبقات، الأولى الكلام البليغ الرصين الجزل، والثاني الكلام الفصيح القريب السهل، والثالث الجائز الطلق الرسل، وما سوى ذلك من الكلام فهو الهجين المذموم. والقرآن تضمن الطبقات الثلاث من الكلام وليس فيه قطعاً شيءٌ من الكلام المذموم[٦٤].

وبما أنَّ "النظم صورة القرآن، واللفظ والمعنى عنصره"[٦٥]. أي مادته التي يتكون منها فهل حاول أحد بيان أسرار هذا النظام وتميزه عن غيره من كلام أهل الفصاحة والبيان؟ قال الخطابي: "وزعم آخرون أن إعجازه من جهة البلاغة، وهم الأكثرون من علماء أهل النظر، وفي كيفيتها يعرض لهم الإشكال، ويصعب عليهم منه الانفصال، ووجدت عامة

---

[٦٢] المرجع السابق، نفس الصفحة.

[٦٣] انظر: عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية الاندلسي، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق عبد السلام الشافي محمد، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ) ج١، ص٥٢

[٦٤] حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي، **ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرُّماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني**، تحقيق وتعليق محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، (القاهرة: دار المعارف، ط٣، بدون تاريخ) ص٢٦.

[٦٥] الراغب الأصفهاني، **تفسير الراغب الأصفهاني**، مرجع سابق، ج١، ص٤٥.

أهل هذه المقالة قد جروا في تسليم هذه الصفة للقرآن على نوع من التقليد وضرب من غلبة الظن دون التحقيق له وإحاطة العلم به"[٦٦]. وهذا النقل المتقدم يبين لنا عسر هذه المهمة، ذلك العسر الذي حمل كثيراً ممن قالوا بأن بلاغة القرآن في تفرده بنظم يختلف عن أساليب العرب، فإذا سئلوا عن تحديد ذلك التميز "قالوا إنه لا يمكننا تصويره ولا تحديده بأمر ظاهر نعلم به مباينة القرآن غيره من الكلام، وإنما يعرفه العالمون به عند سماعه ضربا من المعرفة لا يمكن تحديده"[٦٧].

وللإجابة عن هذا السؤال لا بد من معرفة معنى النظم عموماً ؟، وكيف يصبح الكلام منظوماً ؟ ويمكن معرفة ذلك من خلال ما يأتي:

أولاً: النظم والكلام عموماً، ونظم القرآن خاصة

النظم لغة: "التأليف وضم شيء إلى شيء آخر، وكل شيء قرنته بآخر فقد نضمته"[٦٨]. وفي الاصطلاح: " تأليف الكلمات والجمل مترتبة المعاني متناسبة الدلالات على حسب ما يقتضيه العقل"[٦٩] "والانتظام الاتساق"[٧٠]. وهناك فرق بين الترتيب والتنظيم، فالترتيب هو وضع الشيء مع ما يشبهه، والتنظيم هو وضع الشيء مع ما يظهر به ولذلك

---

[٦٦] حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي، **ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرُّماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني**، مرجع سابق، ص٢٤.

[٦٧] المرجع السابق، ص٢٤.

[٦٨] محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق إبراهيم الترزي (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م) ج٣٣، ص٤٩٦.

[٦٩] علي بن محمد بن علي الجرجاني، **معجم التعريفات**، ص٢٠٣.

[٧٠] ابن منظور، **لسان العرب**، ج١٢، ص٥٧٨.

يستخدم في العقود والقلائد، حيث توضع كل خرزة مع ما يُظهِر لونها ويبينه[٧١]. **والكلام** في اللغة العربية كما قسمه الأصفهاني على خمسة مراتب:

الأول: ضم حروف الهجاء بعضها إلى بعض فتتشكل الكلمة وهي الاسم والفعل والحرف.

الثاني: ضم الكلمات بعضها إلى بعض فتتشكل الجمل المفيدة ليست محكومة بوزن معين، وهذا هو الكلام المنثور.

الثالث: ضم الكلمات بعضها إلى بعض ضماً فيه مبادئ ومقاطع ومداخل ومخارج، وهذا هو المنظوم.

الرابع: إذا كان الكلام المنظوم في أواخره سجع، قيل له المسجُع.

الخامس: إذا كان الكلام منظوماً على زون مخصوص وفي أواخره سجع، وهذا هو الشعر[٧٢].

أما **نظم القرآن الكريم** فإنه كلام منظوم لا على هيئة تعرفه العرب، حتى إنهم حاروا في وصفه، وهذا هو الوليد بن المغيرة يعترف بهذا العجز فيقول وماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني ولا برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا، ووالله إن لقوله الذي يقول حلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله وإنه ليعلو ولا يُعلى عليه وإنَّه ليحطم ما تحته"[٧٣]. وقد حاول بعض العلماء الوقوف على نظم القرآن الكريم وعلة تميزه عن سائر الكلام المنظوم، وجُلُّهم إن لم يكن كلهم حسب ما اطلعت عليه الدراسة ذهب إلى معنى واحد مع اختلاف عباراتهم فيه، وهو عدم إحاطة البشر بجميع ألفاظ اللغة العربية. فالكلام البليغ يحتاج إلى لفظ حامل، ومعنى

---

[٧١] الحسن بن عبد الله بن سهل بن مهران العسكري، **معجم الفروق اللغوية**، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم، ط١، ١٤١٢هـ) ص١١٢.

[٧٢] الراغب الأصفهاني، **تفسير الراغب الأصفهاني**، ص٤٥.

[٧٣] عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، **الاتقان في علوم القرآن**، ص٦٤٥.

قائم به، ورابط بينهما. وفي الكلام ألفاظ متقاربة يظن أكثر الناس أنها متساوية في إيصال المعنى[٧٤]. وهذا قد يوفق إليه الإنسان في بعض الجمل والعبارات، ولكنه لا يمكن في خطبة أو قصيدة أو رسالة، خصوصاً إذا أضفنا لذلك تنوع الموضوعات من عقيدة وحلال وحرام، وحجج وبراهين، ووعد ووعيد، وحكم وأمثال، وقصص وأخبار. وبالطبع يحتاج الكلام البليغ إلى الإيجاز غير المخل في الموضع الذي يقتضي الإيجاز. كما يحتاج أيضاً إلى التشبيه والاستعارة والجناس وغيرها من المحسنات اللغوية كل في الموضع الذي يناسبه تماماً[٧٥].

وبناء على هذا التصور الكلي لنظم القرآن جاءت كتابات العلماء تبين وجه بلاغة النظم في كثير من الآيات، فبينوا سبب اختيار لفظة معينة دون غيرها، وسبب الإيجاز هنا والإطناب هناك، ووجه التشبيه أو الاستعارة أو الجناس. إلا أنَّ الدراسة لم تقف على محاولات لبيان نظم السورة القرآنية وتأثير ذلك النظم في معرفة المقصد الأساسي الذي تحمله كل سورة من سور القرآن.

السورة وحدة بنائية لها عنوان وهو اسم السورة، ولها مطالع ومقاطع، وقد طالب بعض من كتب في منهج التفسير الموضوعي للسورة القرآنية بتقسيم السورة إلى مقاطع، حيث يرى الدكتور مصطفى مسلم ضرورة تقسيم السورة –وبخاصة الطويلة– إلى مقاطع أو فقرات تتحدث آياتها عن عنصر من عناصر الهدف أو مجال من مجالات المحور[٧٦]. وقد سبقه إلى هذا الإمام السيوطي، فقال كتابه (مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع): "فإنَّ من علوم القرآن العظيم مناسبة مطالع السور ومقاطعها"[٧٧]. وهذه خطوة أولية في التأسيس لمنهج في التفسير الموضوعي يكشف عن

---

[٧٤] انظر: حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي وعلي بن عيسى الرُّماني وعبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، **ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرُّماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني**، مرجع سابق، ص٢٦-٢٧.

[٧٥] المرجع السابق، ص٧٦-٩٩.

[٧٦] مصطفى مسلم، **مباحث في التفسير الموضوعي**، ص٤٠.

[٧٧] عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، **مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع**، (الرياض: مكتبة دار المنهاج، ط١، ١٤٢٦هـ)، ص٤٥.

مقصد السورة. "ويلحظ في صنيع الأقدمين هذا أنه اقتصر على ربط المقدمة بالخاتمة فحسب دون ربط ذلك بالسورة وما فيها من حديث"[٧٨]. ومن المعاصرين صرَّح الدكتور رفعت فوزي بإمكانية الكشف عن موضوع السورة من خلال النظر في مقدمتها وخاتمتها[٧٩]. ولم تتطلع الدراسة إلى محاولات في تحديد المقدمة ومتى تنتهي أو الخاتمة ومتى تبدء، وكيف يمكن من خلالها تحديد المقصد الرئيسي الذي تتضمنه المقدمة أو الخاتمة، والذي قد يكون سبيلاً لمعرفة المقصد الأساسي للسورة كلها. ولهذا الغرض تعقد الدراسة مطلباً يعالج هذه القضية.

ثانياً: مقدمة السورة وخاتمتها

بما أنَّ الدراسات السابقة لم تحاول وضع منهجية لتحديد مقدمة السورة أو خاتمتها وعلاقة كل منهما في معرفة اتصال الإجزاء بهما، كان لا بد من الاستقراء المبني على التتبع والملاحظة وتسجيل البيانات للوقوف على أسرار النظم القرآني البديع. وهذا تطبيق عملي على سورة متوسطة الطول وهي سورة الواقعة.

قال تعالى في مطلعها: ﴿**إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۞ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۞ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ۞ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ۞ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ۞ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا ۞ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۞ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۞ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۞ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۞ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ**﴾ [الواقعة: ١-١١].

من خلال التتبع والاستقراء لآيات سورة الواقعة نسجل الملاحظات الآتية والتي سنخضعها للاختبار في السور الثلاث موضع الدراسة في الجانب العملي من هذ الدراسة.

---

[٧٨] سامر رشواني، **منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم دراسة نقدية**، مرجع سابق، ص٣٥٢.

[٧٩] انظر: رفعت فوزي عبد المطلب، **الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية**، (السعودية: كلية التربية، ط٢، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م)، ص١٩.

أ. المقدمة تنتهي عند بداية تفصيل آخر عنصر من عناصرها: أكد الله ﷻ في بداية السورة على حقيقة عظيمة وهي وقوع الساعة، وأنَّه وعد غير مكذوب، وأنَّ الناس فيها بين مرفوع ومخفوض، وبين أيضاً أن الناس ينقسمون يومئذٍ إلى ثلاثة أنواع أصحاب اليمين ولم يفصل في أحوالهم، ثم ذكر أصحاب الشمال ولم يفصل في أحوالهم أيضاً، ثم ختم بالنوع الثالث وهو السابقون المقربون وبين أحوالهم على التفصيل.

ب. ترجع الآيات بعد تفصيل آخر عنصر في المقدمة إلى المقدمة مرة أخرى لتفصل حال النوع الأول الذي لم تأت المقدمة على ذكره بالتفصيل. قال تعالى: ﴿**وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ**﴾ [الواقعة: ٢٧]، ثم فصل في بيان ما أعده الله لهم من النعيم، والذي هو دون نعيم السابقين المقربين.

ت. ترجع الآيات مرة أخرى إلى المقدمة لتفصل ما أجملته عند ذكر النوع الثاني من الناس يوم القيامة. قال تعالى: ﴿**وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ**﴾ [الواقعة: ٤١]، ثم فصل في بيان ما أعده لهم من العذاب الأليم في ذلك اليوم العظيم.

ث. وأخيراً تفند الآيات شبه المكذبين لوقوع هذا اليوم العظيم. فتأتي الآيات لتخبرنا عن تلك الشبه فتقول: ﴿**وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۞ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ**﴾ [الواقعة: ٤٧-٤٨]. فيأتي البيان الشافي معززاً بالحجج الدامغة، فيذكرهم بأصل خلقهم وأنَّ القادر على ذلك قادرٌ على بعثهم قال تعالى: ﴿**أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ۞ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ**﴾ [الواقعة: ٥٨-٥٩]، ثم يذكرهم بخلق الزروع من حولهم فيقول: ﴿**أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ۞ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ**﴾ [الواقعة: ٦٣-٦٤]، ويذكرهم بعد ذلك بالماء الذي ينزل من السماء، وبالنار التي يشعلونها من الشجر الأخضر. كل هذه الحجج تعالج مطلع السورة وهي قوله تعالى: ﴿**إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۞ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ**﴾.

ج. بعد الحجج والبراهين تأتي الخاتمة التي تجمل ما بدأته السورة بنفس الترتيب، تبدأ بالنوع الثالث ثم الأول ثم الثاني. قال تعالى: ﴿**فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ۞ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [الواقعة: ٨٦-٨٧]، وأعاد ذكر المقربين -وهم كما مرَّ في خاتمة المقدمة فقال: ﴿**فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۞ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ**﴾ [الواقعة: ٨٨-٨٩]، ثم رجع إلى النوع الأول في المقدمة -وهم أصحاب اليمين- فقال: ﴿**وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ۞ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ**﴾ [الواقعة: ٩٠-٩١]، ثم ختم بالنوع الثاني

في المقدمة وهم أصحاب الشمال، فقال: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ۞ فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ ۞ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ۞ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ۞ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٩٢-٩٦].

وذهب بعض المفسرين إلى أنَّ هذا الإجمال في أحوال أصحاب اليمين وأصحاب الشمال راجع إلى الترغيب والتشويق إلى معرفة حُسن أحوال أصحاب اليمين، والترهيب من سوء مآل أهل الشمال، ثم بدأ بالسابقين المقربين نظراً لسبق منزلتهم[٨٠]. ومن خلال البحث لم تجد الدراسة من اعتبر هذا منهجاً في النظم القرآني قابلاً للتطبيق على السور ذات الموضعات المتعددة التي ظاهرها الاختلاف والتنوع. ويمكننا أن نلخص هذا المنهج في النقاط الآتية:

١- المقدمة تنتهي عن العنصر الأخير من عناصر والذي يبدأ القرآن في التفصيل فيه.
٢- بعد التفصيل في العنصر الأخير من المقدمة ترجع السورة إلى بيان وتفصيل العنصر الأول فيه، والذي جاء ذكره مجملاً.
٣- وبعدها تذكر السورة بقية العناصر مرتبة الثاني والثالث، وهكذا.
٤- ثم تأتي الحجج والبراهين والأدلة الدامغة المتعلقة بقضايا المقدمة.
٥- وأخيراً الخاتمة التي تجمل ما ذكر في المقدمة.

ومن خلال النظر في المقدمة والخاتمة واستقراء الحجج والبراهين يمكننا أن نتعرف على مقصد السورة الأساسي.

نتائج البحث: قد توصل الباحث إلى العديد من النتائج، وهي كالآتي:

---

[٨٠] انظر: إبراهيم بن عمر بن حسن بن علي البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د.ط)، ج١٩، ص٢٠٠.

١- يعد تحديد مفهوم الضوابط المنهجية للتفسير الموضوعي للسورة القرآنية ذات الموضوعات المختلفة هو الوسيلة التي تُمَكِّن الدارس من التوصل لمقاصد السورة القرآنية واكتشاف الروابط بين موضوعاتها وقصصها والأحكام الشرعية الواردة فيها.

٢- تعزو الدراسة سر غياب التفسير الموضوعي للسورة القرآنية في زمن النبي ﷺ وصحابته الكرام من بعده إلى نظرتهم الموضوعية للقرآن الكريم، وأنَّ مفهوم التفسير عندهم يختلف عن مفهومه اليوم. مفهوم يقوم على أساس معرفة الكليات وتطبيق هذا الفهم في واقع الحياة وجزئياتها.

٣- خلصت الدراسة إلى وجود ضوابط تعتمد على النقل، سواء كان النقل هو القرآن الكريم، أو أسباب النزول أو الأحاديث النبوية أو ما أُثر عن الصحابة . وأسست الدراسة للمنهج الذي يمكن من خلاله الاستفاده من هذا النقل.

٣- أكدت الدراسة على أن عملية البحث عن ضوابط التفسير الموضوعي للقرآن الكريم لا تقتصر على ما جمع بين دفتي المصحف، بل تشمل كل ما يتعلق بالقرآن بشكل مباشر كأسباب النزول، وتفسير الصحابة، أو ما يتعلق به بشكل غير مباشر كلغة العرب ومقتضيات السياق، حيث يساعد كل ذلك في الوصول للضوابط المنهجية للتفسير الموضوعي.

٤- بينت الدراسة الحاجة الماسة لوضع الضوابط وتطويرها واستنباط المزيد منها لتشكل نوعاً من الدراسة المستقلة والاستعداد لتكوين كتب خاصة بالضوابط التي يمكن تطبيقها على سور كتاب الله ﷻ.

المراجع:

ابن البيع، الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد. (١٩٩٠م). المستدرك على الصحيحين. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١.

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي. (١٤٢٢هـ). زاد المسير في علم التفسي. بيروت: دار الكتاب العربي، ط١.

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي. (١٩٨٤م). نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١.

ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن. (١٩٨٦م). معرفة أنواع علوم الحديث. بيروت: دار الفكر المعاصر، د.ط.

ابن الموصلي، محمد. (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م). مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة. ط١. ت: سيد إبراهيم. القاهرة: دار الحديث.

ابن تيميّة، أحمد بن عبد الحليم. (١٩٨٠م). مقدمة في أصول التفسير. بيروت: دار مكتبة الحياة، د.ط.

ابن تيميّة، أحمد بن عبد الحليم. (١٩٩٥م). مجموع الفتاوى. المدينة النبوية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، د.ط.

ابن تيميّة، أحمد بن عبد الحليم. (د.ت). جامع الرسائل. تحقيق محمد رشاد سالم. جدة: دار المدني للنشر والتوزيع، د.ط.

ابن حجر، أحمد بن علي. (١٣٧٩هـ). فتح الباري شرح صحيح البخاري. بيروت: دار المعرفة، د.ط.

ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد. (٢٠٠١م). مسند الإمام أحمد بن حنبل. تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١.

ابن حيان، محمد بن يوسف. (١٤٢٠هـ). البحر المحيط في التفسير. بيروت: دار الفكر، د.ط.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد. (١٤٠٨هـ). ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر. بيروت: دار الفكر، د.ط.

ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد. (١٩٩٦م). فتح الباري شرح صحيح البخاري. المدينة النبوية: مكتبة الغرباء الأثرية، ط١.

ابن سعد، عبد الحق بن سيف. (١٩٨٦م). مقدمة في أصول الحديث. بيروت: دار البشائر الإسلامية، ط٢.

ابن سعد، محمد بن أبي بكر. (١٩٩١م). إعلام الموقعين عن رب العالمين. تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١.

ابن شيه، عبد الله. (٢٠٠٩م). الآثار التربوية والدعوية من خلال ضرب الأمثال في القرآن الكريم. رسالة ماجستير مقدمة لجامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية قسم العقائد والأديان.

ابن عاشور، محمد الطاهر. (١٩٨٤م). تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد. تونس: الدار التونسية للنشر، د.ط.

ابن عاشور، محمد الطاهر. (١٩٩٥م). التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية للنشر، د.ط.

ابن فارس، أحمد. (١٩٧٩م). معجم مقاييس اللغة. بيروت: دار الفكر، د.ط.